الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي سي الحواس - بريكة -

معهد العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

شهادة مشاركة

يشهد رئيس الملتقى الوطني الأول الموسوم بـ: "**صورة الجزائر ومكانتها المتوسطية من خلال الكتابات الأجنبية من القرن 16 إلى 19م**"، والمنظم من طرف قسم العلوم الإنسانية بالتعاون مع وحدة البحث PRFU تحت رقم I01L02CU050120210001

والمنعقد يوم 16- مارس-2022 بتقنية التحاضر عن بعد Google Meet أن:

الأستاذ(ة): "يمينة بن رحال"، " جامعة محمد بوضياف- المسيلة"

قد شارك(ت) في أشغال الملتقى بمداخلة عنوانها: **«الأسطول البحري الجزائري وعلاقاته الخارجية 1816 من خلال مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر»**.

وقد سلمت له(ها) هذه الشهادة تقديرا لمشاركته(ها) وتنويها بمجهوداته(ها) في سبيل إنجاح الملتقى.

رئيس الملتقى:

رئيس الملتقى
د.فيصل مبرك

الملتقى الوطني الأول: صورة الجزائر ومكانتها المتوسطية من خلال الكتابات التاريخية الأجنبية من القرن 16 إلى 19م
المركز الجامعي سي الحواس بريكة
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن عبد الرزاق حمودة- سي الحواس – بريكة

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

بالتعاون من وحدة بحث التكوين الجامعي PRFU

التاريخ السياسي والعسكري لحوض البحر الأبيض المتوسط في القرنين 16 و 17م

تحت رقم:

I01L02CU050120210001

ملتقى وطني عبر Google Meet موسوم بعنوان:

صورة الجزائر ومكانتها المتوسطية من خلال الكتابات التاريخية الأجنبية من القرن 16 إلى 19م، يوم 10 مارس 2022

الرئيس الشرفي للملتقى: الدكتورة شهيرة بولحية

مدير الملتقى: الدكتور محمد سنينة

رئيس الملتقى: الدكتور فيصل مبرك

رئيس اللجنة العلمية: الدكتور فاروق جياب

رئيس اللجنة التنظيمية: الدكتور خنوف شعيب

محاور الملتقى:

- المحور الأول: الأسطول الجزائري والجهاد البحري .

- المحور الثاني: صورة الجزائر من خلال أدبيات الأسر والقرصنة والجوسسة 1800- 1830م.

-المحور الثالث: مكانة الجزائر المتوسطية من خلال كتابات المستشرقين خلال القرن 19م .

-المحور الرابع: صورة الجزائر ومكانتها المتوسطية من خلال كتابات المغربية والتونسية والمصرية والتركية في العصر الحديث.

-المحور الخامس: الجزائر من خلال كتابات العسكريين الفرنسيين 1830- 1900م.

-المحور السادس: صورة الجزائر ومكانتها التاريخية في حوض المتوسط من خلال الكتابات الأجنبية المعاصرة.

أعضاء اللجنة العلمية للملتقى:

-د. خميسي سعدي ، المركز الجامعي - بريكة .

- د. خالد كريبي، المركز الجامعي - بريكة .

- أ.د. جمال بلفردي المركز الجامعي سي الحواس- بريكة .

- د. عبد الرزاق قشوان، جامعة الجزائر2.

د. بلقاسم بواشرية، جامعة ابن خلدون- تيارت.

- د. خالد حموم، جامعة سطيف 2.

-د. نور الدين بن قويدر، جامعة باتنة 1.

- د. الرزقي خيري، جامعة باتنة 1.

- د. مسعود عوادي، جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة.

أعضاء اللجنة التنظيمية:

- د. الطاهر تومي ، المركز الجامعي – بريكة.

- د. بلقاسم مرزوقي، المركز الجامعي – بريكة.

- د. خميسة قنون، المركز الجامعي - بريكة .

- د. حاتم سماتي ، المركز الجامعي - بريكة .

- د. وردة يحياوي، المركز الجامعي - بريكة .

- د. محمد سنينة، المركز الجامعي - بريكة .

-أ. النواري دبي، المركز الجامعي - بريكة .

- د. هشام ذياب، المركز الجامعي - بريكة .

- د. رزيقة عليلي، المركز الجامعي - بريكة .

- د. عياش بن الشيخ ، المركز الجامعي – بريكة .

- د. السعيد زيوش، المركز الجامعي – بريكة.

المركز الجامعي سي الحواس بريكة
الملتقى الوطني الأول: صورة الجزائر ومكانتها المتوسطية من خلال الكتابات التاريخية الأجنبية من القرن 16 إلى 19م
معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

صورة الجزائر ومكانتها المتوسطية من خلال الكتابات الأجنبية من القرن 16 إلى 19م

برنامج أشغال الملتقى:

- مراسيم الافتتاح: 09:30-10:00

- كلمة مديرة المركز الجامعي والإعلان عن افتتاح الملتقى

- كلمة مدير الملتقى

- كلمة رئيس الملتقى

الورشة الرئيسية الأولى: 10:15 - 13:00

https://meet.google.com/rqq-xphh-uaz

رئيس الجلسة: د خالد كريبي

- ✓ المداخلة 01: د. إسحاق حمزة زيتوني، تطور البحرية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية "مرحلة الجهاد البحري" جامعة البشير الابراهيمي- برج بوعريريج.
- ✓ المداخلة 02: أ. سالم جوامع، القيمة الحربية لإيالة الجزائر على ضوء الفرمانات العثمانية؛ معركة ليبانتو 1571م أنموذجاً، طالب دكتوراه بجامعة تلمسان.
- ✓ المداخلة 03: د. عبد الحق كركب، نشاط الأسطول البحري ومكانته في حمل لواء الجهاد المقدس للجزائر العثمانية، جامعة ابن خلدون– تيارت.
- ✓ المداخلة 04: د. يمينة بن رحال، الأسطول البحري الجزائري وعلاقاته الخارجية 1816 من خلال مذكرات وليام شيلر قنصل أمريكا في الجزائر، جامعة المسيلة.
- ✓ المداخلة 05: أ. نسيمة بوالعينين، الأسطول الجزائري والجهاد البحري (خلال القرن 16–19م)، طالبة دكتوراه بجامعة سكيكدة.
- ✓ المداخلة 06: د. محمد سريج، المواجهة البحرية بين الجزائر العثمانية القوى الأوربية خلال القرن10 هـ/ 16م، جامعة ابن خلدون– تيارت.
- ✓ المداخلة 07: د. عمر بلعربي، عنوان المداخلة: البحرية الجزائرية والكتابات الفرنسية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، جامعة باتنة1.
- ✓ المداخلة 08: د. سارة مبروكي، جامعة الجزائر 02د. رحيمة قليل، جامعة زيانة عاشور –الجلفة، مساهمة البحرية الجزائرية في التصدي للهجمات الاسبانية (1519–1792م).
- ✓ المداخلة 09: د. نادية مباركي، الجيش والنشاط البحري الجزائري خلال مطلع القرن 18م على ضوء كتابات الدبلوماسي الفرنسي لوجي دوتاسي، جامعة الجزائر 03.
- ✓ المداخلة 10: د. فيصل مبرك، الاسطول الجزائري ومعارك البحر الأبيض المتوسط، معركة ليبانتو الثانية 1571 نموذجا، المركز الجامعي سي الحواس– بريكة.
- ✓ المداخلة 11: د. علي رزيق، الحملات البحرية الاسبانية على السواحل الجزائرية" حملة شارل كان 1541 " نموذجا، المركز الجامعي سي الحواس– بريكة.
- ✓ المداخلة 12: د. خالد كريبي، نظرة على علاقات إيالة الجزائر الخارجية ما بين القرنين 16–19م من خلال الكتابات الفرنسية، المركز الجامعي سي الحواس– بريكة.
- ✓ 12:35 مناقشات وأسئلة.

الورشة الثانية: 10:15 - 12:35

https://meet.google.com/qxe-ysja-wtt

رئيس الجلسة: د. فاروق جياب

- ✓ المداخلة 01: د. صباح بعارسية، إيالة الجزائر من خلال كتابات الفرنسيين في المجلة الإفريقية خلال الحكم العسكري للجزائر (1856–1870م)، جامعة الجيلالي بونعامة– خميس مليانة.
- ✓ المداخلة 02: د. ليلى سعداوي، السياسة التوسعية للمارشال سانت أرنو وأثرها على الوضع الاقتصادي والاجتماعي للجزائريين 1832–1854، جامعة الشلف.
- ✓ المداخلة 03: أ. أيوب شرقي، أوضاع مدينة الجزائر من خلال كتاب سيمون بيفايفر مذكرات او لمحة تاريخية عن الجزائر، طالب دكتوراه جامعة البليدة 02.
- ✓ المداخلة 04: د. حفيظة خشمون، صورة الجزائر في القرن 18م من خلال ملاحظات المستشار والدبلوماسي الفرنسي "Laugier De Tassy"، جامعة سكيكدة.

صورة الجزائر ومكانتها المتوسطية من خلال الكتابات الأجنبية من القرن 16 إلى 19

✓ المداخلة 05: د. أحمد بن حدحوم، المجتمع الجزائري خلال القرن 19 م من خلال كتابات الرحالة الألماني هاينريش فان مالتسان، جامعة عمار ثليجي– الأغواط.

✓ المداخلة 06: د. حميد قريتلي، صورة الجزائر من خلال كتابات العسكريين الفرنسيين خلال القرن 19م– كاريت أنموذجا، جامعة يحي فارس– المدية.

✓ المداخلة 07: د. صلاح الدين شواش، الأوضاع الصحية بالجزائر اواخر العهد العثماني من خلال كتابات أجنبية، طالب دكتوراه بجامعة الشلف.

✓ المداخلة 08: د. رامي بلعيدي "المركز الجامعي بريكة"، ثامر قاسمي طالب دكتوراه جامعة الجزائر2، كمال ذوبي المركز الجامعي بريكة، صورة الجزائر الدينية في العهد العثماني من خلال الكتابات التاريخية الألمانية " كتاب رحلة العالم الألماني هابنسترايت أنموذجا".

✓ المداخلة 09: د. جمال حريشة، الصحراء الجزائرية في الكتابات الاستعمارية للبعثات الاستكشافية الفرنسية من خلال رحلة لويس اوجين كافينياك، جامعة الشلف.

✓ مداخلة 10: د. علي قشاشني، الظاهرة الدينية في الجزائر على ضوء كتابات الضباط الفرنسيين خلال القرن 19م، جامعة الجيلالي اليابس– سيدي بلعباس.

✓ مداخلة 11: د. مليكة محمدي، دور كتابات المستشرقين الفرنسيين في تثبيت الوجود الإستعماري للجزائر، جامعة البليدة 02.

✓ مداخلة 12: د. فاروق جياب، التحيديات الجيوسياسية في المتوسط في العصر الحديث وموقف الجزائر منها، المركز الجامعي– بريكة.

مداخلة 13: د. عمر قشوش طالب دكتوراه بجامعة غرداية، فتيحة مسعودي طالبة دكتوراه بجامعة الشلف، نظرة الكتابات التاريخية الأجنبية لنشاط البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني مابين القرنين 16م _19م.

✓ أسئلة ومناقشة.

الورشة الثالثة: 10:15 - 12:35

https://meet.google.com/ajv-tioz-hyr

رئيس الجلسة: د. خميسي سعدي

المداخلة 01: د. سالم بوتدارة، صورة الجزائر في النصف الثاني من القرن 17م من خلال الكتابات المغربية "رحلة ابن زاكور الفاسي أنموذجا"، جامعة أدرار.

المداخلة 02: د. أماني سعدالي، صورة إيالة الجزائر من خلال الكتابات التاريخية الغربية مذكرات بفايفر 1825–1830 أنموذجا، جامعة محمد خيضر– بسكرة.

المداخلة 03: د. نور الدين بن قويدر، حقيقة الأسطول الجزائري بين جدلية الجهاد البحري والقرصنة، جامعة باتنة1.

المداخلة 04: د. أمال معوشي، صورة الأسطول والبحارة الجزائريين من خلال بعض المصادر الأجنبية، جامعة المسيلة.

المداخلة 05: د. مختار ناير، البحرية الجزائرية – جهاد بحري – من منظور الكتابات الأجنبية، جامعة وهران1.

المداخلة 06: د. مسعود عوادي، الفرد الجزائري من خلال الكتابات الفرنسية في القرن 19، جامعة سكيكدة.

المداخلة 07: د. خميسي سعدي، حملة الدوق اورلي الاسبانية سنة 1775م على الجزائر من خلال رحلة الانقليزي وليام دالريمبال William Dalrymple، المركز الجامعي– بريكة.

المداخلة 08: د. عبد الرزاق قشوان، البحرية الجزائرية ومكانتها المتوسطية من خلال مقالات المجلة الافريقية، جامعة الجزائر2.

المداخلة 09: د. مراد بن حمودة، مقاومة الشيخ المقراني والحداد من خلال كتابات لويس رين، جامعة سطيف2.

المداخلة 10: د. الرزقي خيري، الجزائر والتجارة الأوروبية المتوسطية الفترة الحديثة والمعاصرة، جامعة باتنة01.

✓ أسئلة ومناقشات

✓ التحاق الورشتين الأولى والثانية بالورشة الأولى الرئيسية 12:45

✓ توصيات الملتقى والاختتام الرسمي: 13:00

صورة الجزائر ومكانتها المتوسطية من خلال الكتابات الأجنبية من القرن 16 إلى ق19

الأسطول البحري الجزائري وعلاقاته الخارجية 1816 من خلال مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر

الدكتورة: بن رحال يمينة
أستاذ محاضر "أ" قسم التاريخ جامعة محمد بوضياف المسيلة

مقدمة:

تنوعت المصادر التاريخية التي كتبت عن تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني سواء أكانت عربية أم أجنبية خاصة منها الأوروبية وجاءت في شكل رحلات أو تقارير أو مذكرات ألفت من طرف الرحالة أو القناصل أو الأسرى أو الجواسيس أو الرهبان. وقد حرص هؤلاء على تدوين تفاصيل تنقلاتهم وملاحظاتهم. حيث قدموا لنا الصورة الكاملة للجزائر في جميع نواحي الحياة خاصة ما تعلق بالأسطول البحري الجزائري، ولعل من الكتابات الشخصية التي تناولت هذا الموضوع نجد مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر ما بين 1816-1824، هذا الأخير الذي كشف لنا عن أحداث ووقائع تاريخية هامة تخص الجزائر في مرحلة نهاية الحكم العثماني، وهي مرحلة حرجة عرفتها البلاد لاسيما في المجال السياسي والعسكري، كما رسم لنا الكاتب صورة حية لأحداث عاشها ودونها بنفسه أثناء تواجده في الجزائر وهي تتعلق بالحملات الأوروبية على الجزائر خاصة منها حملة اللورد إكسماوث عام 1816 والتي كانت تهدف إلى إضعاف القوة البحرية الجزائرية واستهداف مكانتها الدولية في الضفة الغربية للبحر المتوسط. فمن يكون يا ترى؟ وما طبيعة العلاقات الجزائرية الأوروبية (الإنجليزية) من خلال مذكراته؟ وما أثر حملة اللورد إكسماوث على الأسطول الجزائري وعلى بريطانيا؟.

التعريف بالكاتب وليام شالر "william shaller":

هو رجل سياسي وكاتب ومفكر أمريكي مشهور، يعد من بين القناصل الذين مثلوا بلدانهم دبلوماسيا. حيث قدم إلى الجزائر ونزل بها برا بصفته قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في 30 يوليو 1815[1] واستقر رسميا في منصب القنصل العام[2] في الجزائر ما بين سنوات 1816-1824، ففي هذه الفترة دون القنصل مذكراته وهي مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر الحديث، وقد ساعدنا من خلالها في الوقوف على أوضاع الجزائر وحالتها مع بداية القرن 19م.

وكان وليام شالر يتمتع بالحظوة لدى بعض الوزراء والشخصيات الجزائرية كعمر باشا الذي كان يحسن استقباله ويبدي له الشعور والتقدير.[3]

التعريف بالكتاب "المذكرات":

1- وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1826)، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص147.

2- نفسه، ص148.

3- وليام شالر، المصدر السابق، ص15.

الكتاب هو عبارة عن مذكرات وردت بعنوان مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، دونه صاحبه وهو متواجد في الجزائر يتقلد منصبه السياسي، قام بترجمته إلى اللغة العربية والتعليق عليه وتقديمه إسماعيل العربي، طبعته مطبعة أحمد زبانة ونشرته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر عام 1982. تحتوي المذكرات على 350 صفحة فهي من الحجم الكبير بالإضافة إلى خريطتان لمدينة الجزائر وضواحيها في الربع الأول من القرن 19م، لها قيمة تاريخية عظيمة خاصة فيما يتعلق بأسماء الأماكن ومواقعها وقد تم توظيفها في الصفحات الأخيرة من الكتاب.

قام المؤلف بتقسيم كتابه إلى مقدمة وسبع فصول وفيها زاوج بين التأليف والمذكرات (اليوميات) التي خصص لها الكاتب فصلا واحدا وهو الفصل السابع كما أرفق مذكراته بمجموعة من الملاحق الهامة التي لها علاقة مباشرة بصلب الموضوع.

لقد احتوى الكتاب على دراسة تفصيلية للجزائر من عدة جوانب سياسية – اجتماعية – اقتصادية (مالية) وعسكرية وحضارية، فمن خلاله قدّم لنا الكاتب وصفا دقيقا للجزائر بلدا وحكومة وشعبا ويتضح لنا ذلك من خلاله حديثه عن المجتمع بمختلف فئاته وعن الخزينة الجزائرية وغناها وعن تحصينات الجزائر وعلاقاتها الخارجية، حيث بين لنا الكاتب طريقة تعامل القناصل والدول الغربية عموما مع إيالة الجزائر، علما بأن الجزائر كانت حينذاك محط أنظار دول العالم خاصة من حيث الهيبة التي شكلها أسطولها البحري القوي الذي ذاع صيته عالميا خلال القرن 17م.

نشأة البحرية الجزائرية وتطورها خلال الفترة العثمانية:

عرف الأسطول البحري الجزائري تطورا ملحوظا منذ القرن 16م وأوائل القرن 17م،[1] حيث اعتبرت هذه الفترة بمثابة العصر الذهبي للمؤسسة البحرية الجزائرية باعتبارها جهاز هام وقوي. وذلك بتعدد وحداته وحجم الغنائم البحرية التي كانت تتحصل عليها والتي حققت فوائد كبيرة للإيالة الجزائرية.

لقد أولى حكام الجزائر بعد إلحاق البلاد بالدولة العثمانية رسميا وتعيين خير الدين بربروس سلطانا عليها عام 1519[2] اهتماما كبيرا في بناء وتطوير الأسطول البحري باعتباره محورا أساسيا في قوتها العسكرية، الأمر الذي جعل منها قوة بحرية بامتياز ومسيطرة على البحر الأبيض المتوسط خصوصا حوضه الغربي.

كان الجيش البحري في بداياته الأولى يتكون من بحارة عثمانيين ممثلين في الإخوة بربروس الذين عرفوا بحبهم للبحر وولعهم به فكانوا يجوبون البحر بمبادرة

1- حنيفي هلايلي: بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1،دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص550.

2- خير الدين بربروس: مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمد دراج، دار طليطلة، الجزائر، 2015، ص103.

فردية بأنفسهم[1] وكان على رأسهم خير الدين الذي يعود له الفضل الكبير في وضع النواة الأولى للبحرية الجزائرية وقد جعل من ميناء الجزائر قاعدة بحرية بعد أن طرد الإسبان من قلعة عرفت بحصن البنيون عام 1529[2] التي كانت تشرف على مدخل ميناء الجزائر. وبالتالي يكون العثمانيون قد ساهموا مساهمة فعالة في تنمية وتطوير المؤسسة البحرية من جانبها المادي والبشري.[3]

ففي أواخر القرن 16 انظم إلى الأتراك الأندلسيون والأهالي والعناصر المسيحية الوافدة من مختلف الدول الأوروبية بعد اعتناقهم للإسلام فعرفوا بالأعلاج واستطاعوا أن يتولو مناصب عليا في البحرية الجزائرية، فكانت هذه الأخيرة مفتوحة على مصرعيها لكل الراغبين في الانضمام إلى هذه المؤسسة بشرط اعتناقهم للدين الإسلامي.

لقد ساهم وجود العثمانيين في الجزائر واستقرارهم بها في تحويل نشاط البحرية في البحر الأبيض المتوسط إلى مؤسسة قائمة بذاتها تشرف على مجموعة من رياس البحر تحكمت في إدارة البحرية وتنظيمها وتمويلها وتوظيف طاقمها وحتى القيام بعمليات حربية بشكل جيد.[4] وفي هذا الشأن يجمع المؤرخون الأوروبيون والأمريكان وحتى الرحالة الأجانب على أن البحرية الجزائرية كانت منظمة أحسن تنظيم زيادة على شجاعة أهلها،[5] كما وصفوها بالقوة والعظمة وأشاروا إلى تميزها بكفاءة طاقمها بقولهم: "ومرساها عامر بالسفن ورياسها موصوفون بالشجاعة وقوة الجأس ونفوذ البصيرة في البحر يقهرون النصارى في بلادهم فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظم هيئة وأكثر رعبا في قلوب العدو ...".[6] فلقد كانت تهدد مصالح الدل الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط، لدرجة أنهم لجأوا إلى إبرام معاهدات والتزموا بدفع إتاوات لحكومة الجزائر حتى يضمنوا وجودا آمنا لسفنهم ورعاياهم وازدهار تجارتهم في حوض المتوسط الغربي.[7] وبهذا استطاعت الجزائر أن تملي شروطها وقوانينها التي يتم بموجبها ان تحققت العبور بسلام في البحر المتوسط أو التعرض للأسر والحجز ان خالفت

1- محمد دراج: الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس (1512-1543)، ط1، تصدير ناصر الدين سعيدوني، دار قرطبة للنشر والتوزيع، 2015، ص163.

2- يحي بوعزيز:حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية، مجلة الدراسات التاريخية، عدد05، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، ص151.

3- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم العثماني (1514-1830)، دار هومة، 2012،ص321.

4- وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد لقادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1980، ص60.

5- مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص69.

6- مولاي بلحمسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشرك الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص57.

7- عائشة غطاس: نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 05، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1988، ص118.

قوانين الجزائر[1] علما بأن الدولة كانت تعامل الأسرى معاملة حسنة مع السماح لهم بممارسة طقوسهم الدينية.[2]

ان استقرار أوضاع البلاد سياسيا ساعد الحكومة الجزائرية في تقوية أسطولها البحري حيث بلغ نشاطها ذروته في النصف الثاني من القرن 17م وكان يضمن للدولة مداخيل معتبرة اعتبرت إحدى أهم الدعائم الأساسية لاقتصاد الإيالة من خلال تزويدها بمصادر أساسية منها:

1- حمولات السفن بالغنائم التي تؤخذ من البحر
2- مبالغ افتداء الأسرى
3- الإتاوات التي تدفعها الدول الأوروبية لحماية سفنها من استيلاء القراصنة
4- مصدر تتحصل عليه المؤسسة البحرية من خلال الإذن بالإرساء[3]

رغم أن البحرية الجزائرية كانت تقليدية في نظامها خلال القرنين 17و18م إذا ما قورنت مع نظم البحرية الأوروبية التي أصبحت تعتمد على الأساليب المتطورة والمناهج العلمية والابتكارات إلا أنها استطاعت أن تلعب الدور البطولي في تاريخ الجزائر الحديث وأن ترجح ميزان القوى لصالحها. وقد اتسم دورها في بداية الأمر بالدفاع وذلك من خلال صد الهجمات الخارجية للدول الأوروبية خاصة منها الإسبانية ثم الهجوم وذلك من خلال مشاركتها النشيطة مع الدولة العثمانية في حروبها العسكرية سواء في شرق البحر المتوسط وغربه طوال قرون العصر الحديث مثل معركة مالطا 1546، طرابلس 1551، جربة عامي 1551-1560، مالطا مرة أخرى عام 1565، وليبانتو عام 1571، تونس وحلق الوادي عامي 1569-1574 ... وغيرها.[4]

يذكر وليام شالر في مذكراته بأن البحرية الجزائرية كانت تمتلك العديد من السفن ذات المجاديف والسفن الثلاثية الصواري، وقد عرفت من التطور بعد أن أعيد تشكيلها عقب التحسينات التي أدخلها الأوروبيون على بناء السفن[5] وعلى فن الحرب وكان ذلك بعناية عدد من بناة السفن والمهندسين التي كانت تحتفظ بهم بعض الدول الأوروبية.[6]

ويشير الكاتب بأن الجزائر كانت تمتلك ترسانة عسكرية للبحرية الجزائرية قبل انعقاد معاهدة الصلح عام 1815 والتي تمت بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية وهي تتكون من أربعة بوارج تتراوح قوتها بين 44 و 50 مدفعا وأخرى قوتها 38 مدفعا وسلوب (مركب ذو صارية واحدة) حربي مزود بثلاثين مدفعا وآخر

1- محمد بن جبور: البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني، "مجلة العصور"، ع12-15، جامعة وهران، الجزائر، 2008-2009، ص121.
2- حنيفي هلايلي، المرجع السابق، ص64.
3- نفسه.
4- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص152.
5- وليام شالر، المصدر السابق، ص61.
6- نفسه، ص62.

بستة وعشرين مدفعا وآخر باثني وعشرين مدفعا وسفينة ذات صاريتين مسلحة بعشرين مدفعا وسفينة ذات مجاديف مسلحة بخمسة مدافع بالإضافة إلى ثلاثين زورقا حربيا.[1] وقد أشاد شالر قنصل أمريكا في الجزائر بقدرة الجزائريين على تجهيز الأساطيل وتسليحها للقتال قلهم مقدرة لا تفوقها مقدرة أي شعب آخر في العالم.[2]

وقد نقل لنا شالر من خلال مذكراته صورة عن البارجة الجزائرية الكبيرة التي يمكنها أن تنقل على متنها 500 بحارا وضابطا، مائة منهم من الأتراك الذين تتكون منهم هيئة الضباط.[3] كما يذكر بأن الحكومة الجزائرية كانت تستخدم في أسطولها بصفة دائمة نحو ثلاثة آلاف بحار كما يمكنها استيعاب ستة آلاف بحار عند الضرورة.[4]

ويذكر المؤلف بأن بحارة السفن الجزائرية الحربية يجهلون طرق المناورة في المعارك البحرية ويصفهم أنهم يتميزون بالجرأة الخارقة كما يتمتعون بشهرة عظيمة تردد صداها أغاني الشعراء ويرتعد من ذكره الأطفال والعجائز.[5]

كما يشير المؤلف في كتابه إلى مجموعة من الأنظمة التي تتميز بها البحرية الجزائرية حيث يقول أنه عندما يرسوا أسطول أو سفينة حربية في مرسى الجزائر تطلق المدافع واحدة وعشرين طلقة على سبيل التحية وعقب ذلك يقوم الأسطول أو السفينة الحربية برد التحية بعدد مماثل من الطلقات المدفعية، ومتى نزل قائد الأسطول أو السفينة إلى البر تطلق المدافع أيضا خمس طلقات تحية له وهذه التحية تكرر عندما يرحل نهائيا.[6]

ومتى استمرت إقامة أسطول أو سفينة حربية في الميناء ثلاثة أيام ترسل السلطات إليها هدية وهي عبارة عن عجول ودجاج وخبز وفواكه وخضر، وبعد ذلك يدفع قنصل الدولة التي يتبعها الأسطول أو السفينة 40 دولار للتحية ومبلغ 14 دولار في مقابل الهدية.[7]

وقد وصف شالر الميناء بقوله هو عبارة عن مرسى مأمون من الرياح ويتسع لحوالي 50 سفينة، ويذكر أن جميع منافذ مدينة الجزائر تحميها تحصينات منيعة مسلحة بالمدافع الثقيلة وهي تعتبر كسد منيع لصد كل محاولة مباشرة للسفن الحربية للهجوم على المدينة[8] فكل محاولة ميؤوس منها.

غير أن في نهاية القرن 17م بدأ نشاط البحرية الجزائرية وأسطولها يعرف

1- نفسه.
2- نفسه، ص63.
3- نفسه.
4- نفسه، ص62.
5- نفسه، ص63.
6- وليام شالر، المصدر السابق، 66.
7- نفسه.
8- نفسه، ص72.

نوعا من التراجع خاصة بعد ظهور أساطيل أوروبية قوية وتزامن ذلك مع التدهور الذي عرفته البلاد في شتى المجالات مما أدى إلى اتساع الهجمات العسكرية التي كانت تشنها الدول الأوروبية من وقت لآخر بأساطيلها على السواحل الجزائرية بغية إضعاف قوة البحرية الجزائرية ومن ثمة القضاء عليها، ومن أبرز الحملات الأوروبية التي ساهمت في إضعاف الأسطول الجزائري خاصة في القرن 18م نجد الحملات الإسبانية الثلاثة كحملة الضابط أوريلي 1775 وحملتا الدوق أنطونيو بارثيلو الأولى والثانية (1783-1784).[1]

وفي نهاية القرن 18م عرفت البحرية الجزائرية نوعا من النشاط والانتعاش بسبب الأوضاع التي كانت تعيشها الدول الاوروبية وشعوبها من تردي الأوضاع الاجتماعية وازدياد حدّة الإقطاع وفساد الأنظمة السياسية والملكية المطلقة والرجعية.[2]

لقد انتعشت البحرية الجزائرية خاصة بعد انشغال أوروبا بحروب الثورة الفرنسية عام 1789م وحروب نابليون وما صاحبها من فوضى، حيث تضاعفت عدد القطع البحرية في أسطول الإيالة فوصل إلى 41 قطعة وبرز في هذه الفترة الكثير من البحارة الأكفاء يتصدرهم الضابط الرايس حميدو. هذا الاخير الذي لم يكن علجيا ولا تركيا بل كان ابنا لخياط جزائري توجه إلى البحر كشاب عامل في غرفة السفينة تميز بالذكاء الخارق والشجاعة النادرة.[3] الأمر الذي أهله على أن يكون نفسه حتى وصل إلى رتبة ضابط ثم رتبة أمير البحر على جميع الأسطول الجزائري[4] حيث استطاع أن ينظم البحرية الجزائرية وأن يعطيها منفسا جديدا من خلال تعزيز دورها في البحر المتوسط، علما بأنه كان يتحصل على الكثير من الغنائم والأسرى بعد نزوله إلى سواحل البرتغال وصقلية ونابولي وجزر البحر الأبيض أدت إلى امتلاكه ثروة طائلة فأكسبته الاحترام والتقدير من عامة الشعب.[5] غير أنه أصيب بقذيفة مدفع قوية في الحملة الأمريكية على الجزائر عام 1815م التي وقف لها الند للند بكل شرف رغم عدم تكافؤ قوات الطرفين فكانت سببا في تراجع نشاطه[6] ومقتله في المعركة فانتهت بذلك أسطورة قائد من أعظم القواد البحريين في زمنه.[7]

ويذكر وليام شالر بأن الجزائريين قد بلغوا قمة مجدهم وقوتهم وأنهم أعظم قوة بحرية بعد بريطانيا الدول البحرية تسعى للحصول على الحظوة لديهم بدون قيود ولا

1- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص253. للمزيد ينظر أيضا: تومي الطاهر: حملة أوريلي على مدينة الجزائر 1775، مجلة الحوار المتوسطي، ع13-14، الجزائر، ص266.

2- محمد بن جبور، المرجع السابق، ص123.

3- وليام شالر، المصدر السابق، ص07.

4- جون ب وولف: الجزائر وأوروبا (1500.1830)، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2015، ص204.

5- نفسه.

6- نفسه، ص205

7- وليام شالر، المصدر السابق، ص07.

كلل. فيثبتون تفوقهم البحري على اسس متينة خاصة بعد استيلائهم على بارجة أوروبية في إحدى المعارك.[1]

العلاقات الجزائرية البريطانية من خلال مذكرات وليام شالر:

يذكر وليام شالر في مذكراته بأنه كانت تجمع البلدين علاقات تفاهم وانسجام بدليل الرسالة التي تلقاها الداي من الأمير الوصي على عرش إنجلترا عام 1812م وفيها عبر عن أوثق علاقات الصداقة للداي وأكد له بأنه سيحمي عاصمته بواسطة أسطوله الذي يعد سيد جميع البحار ويبث الرعب في الدول البحرية كما ذكره بأن كل من يحاول الوقوف في وجهه سينتهي الأمر بإخضاعه.[2] وبالتالي فهي رسالة تعبر عن التزام بريطانيا بالتحالف للدفاع عن الجزائر بشرط أن تحترم الإيالة معاهدات الصداقة القائمة بين البلدين. غير أن الإنجليز لم يحافظوا على علاقاتهم الودية مع الجزائر فسرعان ما انقلبت إنجلترا على الجزائر وحاولت القضاء على أسطولها الذي كان يعيق تجارتها في البحر الأبيض المتوسط.[3] حيث أخذت إنجلترا تتآمر وتحيك المؤامرات تجلى ذلك في انعقاد مؤتمر فينا وعنه يقول وليام شالر بأنه في نهاية 1814 عقد مؤتمر ضمّ جميع الدول المتحضرة في القارة الأوروبية وهناك أرست قواعد واسعة ومتينة للعدالة والإنصاف والاستقلال ورخاء جميع الأمم، وقد شكلت لجان (مجالس) لمناقشة جميع المسائل المهمة لأوروبا واستمرت جلساته حتى السنة التالية 1815م.[4] ويذكر المؤلف بأن المؤتمر عالج مسائل ذات طابع عام مثل مسألة تحريم الرق والتجارة في العبيد الإفريقيين، وكان من الطبيعي أن ينتظر الناس من هذا المؤتمر أن يبحث ادعاءات هؤلاء البرابرة المناقضة للسلوك الاجتماعي والذين كانوا حينئذ يحتجزون أكثر من ألفين من الأوروبيين في قيد العبودية ويتخذ إجراء بتحريم القرصنة التي هي لطخة مشينة للحضارة[5] على حد تعبير شالر.

يذكر شالر بأن بريطانيا قد أيدت في المؤتمر فكرة إلغاء الرق الأسود. غير أن فرنسا وإسبانيا والبرتغال كانت تعارض القرار بهذا الشأن بدافع من مصالحها الخاصة[6] لقد إندهش الجزائريون واستغربوا من موقف بريطانيا التي ظلت ترفض تحريم القرصنة في الوقت الذي تصر فيه على إلغاء الرق والتجارة في السود.[7]

وفي جويلية 1815 ظهر أمام الجزائر أسطول هولندي يتكون من أربع بوارج وسلوب وسفينة حربية ذات صاريتين بواسطة القنصل البريطاني حيث عرض على الداي رغبته في تجديد معاهدة السلام التي تربط بين البلدين، غير أن الداي رفض

1- نفسه، ص141.
2- نفسه، ص140.
3- أرزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص142.
4- وليام شالر، المصدر السابق، ص145.
5- نفسه.
6- نفسه.
7- نفسه، ص149.

هذا الإقتراح وكان يريد أن تقوم هولندا بدفع مؤخر الضرائب والهدايا...إلخ وهو يمثل مبلغا ضخما وعقب ذلك مباشرة انقطعت المفاوضات بين الطرفين، وفي نهاية 1815 تعاقبت السفن الحربية البريطانية على ميناء الجزائر وكان يبدو أن هذه الزيارات المتوالية تنذر بحركة غير معتادة.[1]

وفي أفريل 1816 وصل قائد الأسطول البريطاني في البحر الأبيض المتوسط اللورد إكسماوث[2] على رأسها قوة بحرية تتكون من خمس وعشرين قطعة من بينها ست قطع حربية في ترتيب نظامي وبهذه القوة المهددة قدم الأميرال شروطا للسلم بين الجزائر ومملكتي سردينيا ونابلي، فقبلتها السلطات الجزائرية بعد مناقشات خفيفة.[3] وبموجب هذه الشروط يلتزم ملك سردينيا دفع 500 دولار فدية لكل واحد من رعاياه المحتجزين عبيدا في الجزائر وأن يعيد إلى الجزائر وبدون فدية جميع الجزائريين المحتجزين في مملكته وأن يقدم هدية قنصلية حدها الأقصى 5000 جنية ستيرلينج، وفي مقابل ذلك ينتظر الملك أت تعامله الجزائر على قدم المساواة مع إنجلترا نفسها.[4]

أما ملك نابلي، قد التزم بتقديم مبلغ 1000دولار لكل واحد من رعاياه الذين يوجدون في قيود الحديد في الجزائر ويعد بأن تقدم الهدية القنصلية التقليدية مرة في كل سنتين إضافة إلى ضريبة سنوية مع الالتزام بتحرير الأسرى بمجرد دفع فديتهم.[5]

والجدير بالذكر أن الأسرى الذين ينتمون إلى جزيرة مالطا وإلى جبل طارق والذين يبلغ عددهم 33 أسيرا قد أطلق سراحهم باعتبارهم من الرعايا البريطانيين.[6]

وعقب رحيل الأسطول البريطاني مباشرة صرح الداي بأن الولايات المتحدة الأمريكية قد خرقت المعاهدة وإثر هذا التصريح لجأ شالر قنصل أمريكا في الجزائر على متن إحدى قطع الأسطول الأمريكي الذي كان يرسو في ميناء الجزائر وهناك قام بعقد اتفاقا شفهيا مع الحكومة الجزائرية يقضي بإحالة المسائل موضوع النزاع برسالة مختومة يحررها الداي نفسه إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وفي انتظار الرد تبقى المعاهدة نافذة المفعول وبموجب هذه الاتفاقية عاد شالر إلى القنصلية لاستئناف عمله.[7]

وفي شهر ماي عاد قائد الأسطول البريطاني من تونس مصطحبا معه جميع قواته البحرية ويبدو أنه تلقى تعليمات جديدة وقد تمثلت في مقترحات قدمها إلى

1- نفسه.

2- اللورد إكسماوث lord Exmouth (1757-1833) شخصية سياسية وعسكرية بريطانية، قاد الحملة العسكرية البحرية على الجزائر بالتعاون مع الهولندي فان كابلان van capplin في أوت 1816. اسفرت عن تحطيم الأسطول الجزائري وضعفت قدرات الجزائر الدفاعية.

3- وليام شالر، المصدر السابق، ص150.

4- نفسه.

5- نفسه.

6- نفسه، ص151.

7- نفسه، ص152.

الحكومة الجزائرية تتضمن شروطا تتناقض مع الشروط التي وردت في الاتفاق السابق وعندما اطلع عليها الداي أبدى الكثير من الحزم والحكمة والتبصر[1] وقد قام بعرض المطالب البريطانية على الديوان وعلى الجنود في ثكناتهم لاتخاذ القرار غير أن كل من استشارهم الداي زكوه لاتخاذ القرار المناسب. وقد رد الداي على مطالب الاميرال إكسماوث قائلا بأنه مادامت إيالة الجزائر ولاية من ولايات الإمبراطورية العثمانية فإنه لا يستطيع الموافقة على اقتراحاته إلا بعد استشارة الباب العالي وهذا ما يتطلب مدة زمنية لا تقل عن ستة أشهر.

إزاء هذا الوضع قام اللورد إكسماوث بتهديد الداي بتدمير مدينة الجزائر إذا رفض شروطه ومنحه ثلاث ساعات للمشاورة والرد النهائي.[2]

ويذكر شالر بأن الداي وجه لوما إلى الأميرال البريطاني على سلوكه الغريب والمتناقض والذي يزيل كل ثقة في التزاماته ورفض مطالبه بصفة نهائية ثم طلب منه أن يسحب أسطوله من مرمى المدافع الجزائرية.

ولما تلقى اللورد إكسماوث هذا الرد انسحب وقدم إنذار بأنه سيقصف مدينة الجزائر ولما اقترب مع بعض ضباطه من سفينة جزائرية تعرض للشتم ووجهت إليه إهانة خطيرة وهو في طريقه إلى البحرية. كما تم اعتقال القنصل البريطاني ووضع تحت الحراسة في منزله كما نقلت زوجته وأطفاله من منزلهم في الريف واقتيدوا في المدينة بصورة مهينة للغاية.[3]

ويذكر المؤلف بأن الداي اعتبر منذ هذه اللحظات بأن الحرب قد بدأت مع إنجلترا وقد اتخذ عقب تلقي إنذار الأميرال إجراءات احتياطية حيث أمر والي عنابة ووهران بأن يعتقلا جميع الرعايا البريطانيين والأشخاص الخاضعين للحماية البريطانية ويضمنوا حياتهم.[4] وقد نفذت هذه الأوامر بحذافيرها في عنابة التي كان يوجد بها عدد من الإيطاليين والكورسكين الذين يعملون في صيد المرجان تحت حماية بريطانيا وفي نطاق الامتيازات التي منحت لهذا البلد، وقد تم قتل الأشخاص الذين حاولوا مقاومة رجال السلطة أو الذين هربوا للنجاة من هذا الإجراء وقد حدث ذلك بعد أن غادر الأميرال البريطاني تونس ولم يبلغهم بالخطر المحدق بهم ولم يقم بحماية صيادي المرجان من خلال إرسال وحدات أسطوله إليهم. وإثر هذه الأحداث توصل الطرفان إلى تسوية النزاع بينهما مؤقتا وبطريقة سلمية وذلك من خلال موافقة الأميرال البريطاني على منح الداي مهلة للتشاور مع الباب العالي بشأن المسائل التي بقيت عالقة وبعد ذلك وافق الداي على الاعتراف بمملكة هانوفر الجديدة[5] والسماح لها بأن تتمتع بالامتيازات التي تنص عليها المعاهدة الجزائرية

1- نفسه.
2- وليام شالر، المصدر السابق، ص153.
3- نفسه.
4- نفسه، ص154.
5- نفسه.

البريطانية باعتبار أن تلك المملكة تابعة للإمبراطورية البريطانية على أن يتلقى الهدايا التقليدية الثمينة.

وفي نفس الوقت وضع الأميرال إكسماوث البارجة البريطانية "ذي تاجوس" تحت تصرف الداي لكي يتولى نقل سفيره وهداياه إلى القسطنطينية، ويبدو أن الاختلاف قد زال واختفى ما بين الطرفين بدليل تبادل الهدايا حيث قام اللورد إكسماوث بمبادلة الداي سيفه وتلقى منه هدية تتمثل في جواد وعدد من الحيوانات.[1]

ويشير الكاتب ان خبر مفاوضات اللورد إكسماوث في الجزائر قد وصلت إلى أوروبا وقد لاق موجة من الامتعاض والاحتجاج مما جعل الحكومة البريطانية في موقف حرج حيث اتهمت بأنها لا تعمل إلا من أجل خدمة مصالحها ولا تكترث لما تتعرض له الدول الأخرى من أضرار بسبب سياستها مع الجزائر.[2]

تجهيز حملة 1816 وإنطلاقها من خلال مذكرات وليام شالر:

بعد فشل بريطانيا في تحثيث أهدافها عن طريق المفاوضات، شرعت حكومتها في إعداد حملة عسكرية وذلك بتجهيز أسطول من ميناء "بورتسموث" وأبحر في اتجاه البحر الأبيض في جويلية ولما وصل إلى جبل طارق عزز بعدد من الزوارق البحرية وبست بوارج حربية تابعة للأسطول الهولندي بقيادة نائب الأميرال البارون "فاندركا بيلان" بالتنسيق مع الأميرال اللورد إكسماوث وهو ما شكل تحالفا أوروبيا عسكريا وجهت ضرباته إلى الأسطول الجزائري في البحر الأبيض المتوسط.

أقلع الأسطول المشترك البريطاني الهولندي من جبل طارق في 14 أغسطس تحت قيادة الأميرال البريطاني اللورد إكسماوث ووصل إلى الجزائر بعد ثلاثة أيام في صباح يوم 17 أوت 1816.[3] ويذكر وليام شالر الصحف الفرنسية قامت بنشر أخبار تتعلق بالحملة مما تسبب في فشل مهمة السفينة الحربية التي سبقت وكلفت بترحيل القنصل البريطاني وأسرته وإبعادهم عن خطر الحرب. غير أنهم حاولوا الفرار في زي البحارة وقد كشف أمرهم مما أدى إلى اعتقالهم ووضع القنصل تحت الحراسة في منزله.[4]

ويشير المؤلف في مذكراته بأن الأميرال إكسموث عندما وصل إلى الجزائر بعث بإنذار حكومته وطالب برد في ظرف مدة محددة، هذا الإنذار الذي لم يكترث له الداي للرد عليه، بل سمح للأسطول المشترك بأن يختار المواقع الملائمة لقصف المدينة وهذا التصرف الذي وصفه شالر على أنه يتسم بقلة التصميم والحزم ولا يليق بشخصية الداي الذي كان من المفروض أن يفكر في مقاومة العدو.[5]

وقد تحدث الكاتب عن مجريات الأحداث بقوله بأنه انفصلت على الساعة

1- وليام شالر، المصدر السابق، ص155.
2- نفسه.
3- نفسه، ص156.
4- نفسه.
5- نفسه.

الحادي عشر من يوم 27 أغسطس 1816 بارجة عن بقية الأسطول وتوقفت عند مرسى المدفعية الجزائرية وذلك بعد أن رفعت علم المفاوضة ووجهت مركبا إلى الرصيف وقد احتفظت هذه البارجة بموقعها حتى الساعة الواحدة بعد الزوال وهي تحتفظ بعلم المفاوضة وفي نفس الوقت تجمعت بقية قطع الأسطول في الخليج وبدأت تستعد للهجوم.[1]

وعند إنزال علم المفاوضة شوهدت ست بوارج تحمل العلم الهولندي تتقدّم إلى الأمام لتشكل خطا متراصا للقتال، ثم تقدّم الأميرال الإنجليزي على متن البارجة "كورين شارلوت" المسلحة بمائة مدفع وفي أثرها سفينتان حربيتان أحدهما مسلحة بثمانية وتسعين مدفعا والأخرى بأربعة وسبعين مدفعا وسرعان ما تقدّمت سفينتان كلتاهما مسلحة بأربع وسبعين مدفعا، وسرعان ما تقدّمت البارجة تحمل علم نائب الأميرال والمسلحة بثمانية وتسعين مدفعا.[2]

وقد بين الكاتب في مذكراته نقص الخبرة العسكرية للجزائريين في وصفه للمشاركة الجزائرية في المعركة في قوله: "كانوا يتحصنون بأسوار من الحجر غير قابلة للتدمير ولبطاريتهم التي تتكون من ثلاث صفوف من المدافع، ولو سدد الجزائريون نيران مدافعهم التي هي مخيفة حقا بإحكام في بداية المعركة إلى بوارج عددهم التي يستطيعون إصابتها بسهولة لكان من المرجح أن تنزل بها خسائر كبيرة وتشلها بحيث تمنعها من احتلال مواقع للهجوم، ولكنهم تركوا الأسطول المشترك يقترب من الميناء ويرسوا دون أية مقاومة مما جعل مدافعهم الرئيسية غير فاعلة ولوحدت ذلك لأصيبت إنجلترا بإهانة لا مثيل لها بأن تدمر أسطولها على يد الجزائريين.[3]

يذكر الكاتب بأن المعركة كانت دامت تسع ساعات أدت إلى إخضاع الجزائر حتى أصبحت تستجدي الرحمة أمام عدوها المنتصر وإثر ذلك صرح اللورد إكسماوث بأنه لم يعلن الحرب لتدمير المدينة وطلب في مقابل الصلح ما يلي:

1- إطلاق سراح جميع العبيد المسيحين

2- إعادة مبلغ 350000 دولار كان ملك نابولي وسردانية قد دفعاه فدية لرعاياهم الذين أطلق سراحهم في شهر أفريل.

3- مطالبة الإيالة بالتنازل عن حقها في استرقاق رعايا الدول المسيحية.[4]

موقف السلطات الجزائرية: سارعت السلطات الجزائرية إلى قبول هذه الشروط الأمر الذي أدى إلى عودة السلم إلى نصابه بين الإيالة وإنجلترا وقد اضطرت الإيالة إلى عقد معاهدة سلام مع هولندا بنفس الشروط التي عقدت على

1- وليام شالر، المصدر السابق، ص289.

2- نفسه، ص290.

3- نفسه، ص158.

4- نفسه، ص157.

أساسها المعاهدة الجزائرية البريطانية.[1] وبعد معاهدة الصلح وجهت الحكومة الجزائرية اهتماما كله لإصلاح الأضرار الناجمة عن الحزب. كما بعثت أحد وزرائها إلى القسطنطينية. وعملت على إزالة أنقاض التحصينات المتضررة التي تم ترميمها وزيادة تحصينها فأصبحت هائلة ومخيفة كما كانت من قبل.[2]

كما سارعوا إلى إعادة بناء وتكوين أسطولهم من جديد وذلك من خلال ثراء بعض السفن وبناء سفن أخرى إضافة إلى تجهيزهم بسفن حربية أمدهم بها الباب العالي وسلطان المغرب الأقصى وباشا طرابلس[3] ويذكر وليام شالر بأن الجزائر قامت ببناء قاعدة تتسع لستة وثلاثين مدفعا ثقيلا على رأس الممر الذي يمتد في البحر والذي يحتضن الموقع الذي احتله أسطول إكسماوث[4] ولتفادي تكرار الهجمات قاموا بتحصين المواقع التي تقف عندها السفن ووضعها تحت مراقبة المدفعية المثبتة في قلاع وحصون مهمة.

ويشير الكاتب بأن جميع الحملات العسكرية التي شنت على مدينة الجزائر من البحر فإن جنودها قد نزلوا في الجانب الشرقي من الخليج وهذا خطأ لا يغتفر وهو يعود إلى جهل بشاطئ البلد وطوبوغرافيته حيث أن جميع وسائل الدفاع قد ركزت في هذه المنطقة.[5]

أثر المعركة على بريطانيا: يذكر وليام شالر بأن معركة الجزائر قد أعادت لبريطانيا هيبتها بعد النصر الباهر الذي حققته حيث اعترفت جميع الدول بفضلها الأمر الذي دفعها إلى توزيع الألقاب والنياشين ومعاشات بدون حساب وبطريقة غير معهودة في المملكة وكان ذلك في احتفالات ومهرجانات قومية. كما زاد طموحها بحيث علقت آمال كثيرة على المؤتمر الأوروبي الذي سينعقد في إكس لاشبيل Aix la chappelle 1818 نتيجة نجاح الحملة على الجزائر.[6]

في الأخير نخلص إلى القول بأن مذكرات وليام شالر تعتبر من المصادر الغربية التي تدخل ضمن شهادات السياسيين والقناصل ومبعوثو الدول الأوروبية إلى الجزائر في الفترة الحديثة، فهي مصدرا أصليا وأساسيا للمرحلة التي عاشها مؤلفها فهي شهادة حية عن أحداث عصره فلا يمكن الاستغناء عنها في أي حال من الأحوال في كتابة تاريخ الجزائر الحديث فلها حتمية تاريخية لما تحتويه من معلومات تهم الدارسين والباحثين بهذه المرحلة الهامة من تاريخ الجزائر، وقد كان للكتاب أهمية كبيرة لجميع الدول المتربصة بالجزائر وعلى رأسها فرنسا، فمثلا وصفه الدقيق للجيش وللأسطول الجزائري ساعدتها في معرفة وحداته ونقاط قوته وضعفه وتحصينات مدينة الجزائر وإمكانياتها الاقتصادية وغيرها من المعلومات التي سهلت

1- وليام شالر، المصدر السابق، ص157.
2- نفسه، ص159.
3- نفسه، ص62.
4- نفسه، ص73.
5- نفسه، ص76.
6- نفسه، ص158.

من مهمة احتلال فرنسا للجزائر عام 1830.